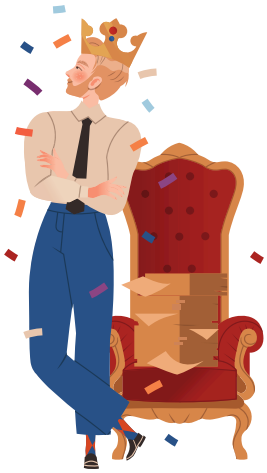

تأثير «الأنا» على نشوء النزاعات ودورها في إعاقة جهود الوساطة

محمد هادية[1]

مفهوم الأنا في العلاقات الإنسانية

تُعتبر «الأنا» من المفاهيم المحورية في العلاقات الإنسانية، ولها تأثير كبير على نشوء النزاعات وتفاقمها، كما تؤثر بشكل جوهري على مسار الحوار والتفاوض خلال عمليات الوساطة. تُعد الأنا متوازنة عندما تُعزز الثقة بالنفس وحماية الحقوق، ولكنها تصبح عقبة عندما ترتفع بشكل مفرط، حيث لا يرى صاحبها سوى ذاته ومصالحه واحتياجاته دون اعتبار للطرف الآخر. هذا السلوك يؤدي إلى عرقلة بناء الثقة والتعاون، مما يعيق الوصول إلى حلول وتسويات للنزاعات.

الأنا المتوازنة مقابل الأنا المرتفعة

عندما تكون الأنا متوازنة، فإنها تمنح الأفراد القدرة على التعبير عن أنفسهم بثقة، مع احترام وجود الأطراف الأخرى. هذا التوازن يُحفز على توضيح المواقف وحماية المصالح دون تصعيد النزاع. في المقابل، الأنا المرتفعة تمنع الأفراد من تقديم التنازلات أو الاعتراف بالأخطاء، حتى عندما يكون ذلك في مصلحتهم. الخوف من فقدان الهيبة أو المظهر القوي يدفع البعض إلى التشبث بمواقفهم، مما يحد من إمكانية الوصول إلى حلول مثمرة.

أثر الأنا المرتفعة على الاعتذار وبناء الثقة

الاعتذار يتطلب تواضعًا يفتقر إليه أصحاب الأنا المرتفعة، مما يزيد من تعقيد النزاعات ويحول دون بناء علاقات صحية على المدى الطويل. التكبر والتمسك بالذات يؤديان إلى ضعف الثقة بين الأطراف. غالبًا ما ينفر الناس من التعامل مع الأشخاص المتكبرين، مما يُعقد التواصل ويضعف العلاقات. الأنا المرتفعة تُساهم أيضًا في تدهور العلاقات طويلة الأمد، مما يؤدي إلى بيئة تفتقر إلى التعاون وتعيق استمرارية المشاريع أو العلاقات المستقبلية.

الأنا من منظور نفسي

من الناحية النفسية، يُمكن فهم الأنا من خلال نظرية فرويد التي تُقسم النفس إلى «الهو» و«الأنا» و«الأنا العليا». في سياق الوساطة، يُمكن اعتبار الأنا أداة للتوازن بين الغرائز الأساسية (الهو) والقيم الاجتماعية (الأنا العليا). النجاح في الوساطة يتطلب تحقيق هذا التوازن، بحيث يُعبر الأفراد عن احتياجاتهم دون تجاوز على حقوق الآخرين.

الأنا الجمعية وتأثيرها على المجتمعات

إلى جانب الأنا الفردية، يمكن النظر إلى «الأنا الجمعية» كعامل مؤثر على سلوك وقيم الأفراد داخل المجتمعات. كما يُشير الباحث إبراهيم أوسي، فإن الأنا الجمعية تكبر أو تصغر وفقًا للحالة العامة للمجتمع، مثل النهضة والرقي أو الجهل

والتراجع. الأنا الجمعية القوية تُساهم في تعزيز العلاقات داخل المجتمع وتنبع من قوة القيم والمبادئ المشتركة. في المقابل، يمكن أن تؤدي الأنا الجمعية المتضخمة إلى نزاعات واسعة النطاق، سواء بين الجماعات أو الأمم.

يمكن رؤية الأنا في سلوك قادة وزعماء الدول، وأباطرة المال والأعمال، وأمراء الحرب. في كثير من الحالات، لعبت الأنا المفرطة دورًا في إشعال الحروب وتدمير المجتمعات. على النقيض، تُجسد الأنا العليا في سلوك الحكماء والمصلحين الذين يسعون لصون الكرامة الإنسانية وبناء السلام.

تحديات الوسطاء مع أصحاب الأنا المرتفعة

كوسيط عمل في عشرات القضايا المتنوعة ثقافيًا ولغويًا ودينيًا، أؤكد أن الأنا المرتفعة دائمًا ما كانت العائق الأكبر في منع الوصول إلى اتفاقات. اللافت أن أصحاب الأنا المرتفعة يواجهون حاجزًا شبيهًا بجدار إسمنتي يمنعهم من تخطي مواقفهم، حتى لو كانت مصلحتهم في الجانب الآخر. عبارات مثل: «أنا لا يمكنني التنازل»، «أنا لا أعتذر أبدًا»، و«أنا لا أخطئ» تتكرر باستمرار.

أدوات للتعامل مع الأنا المرتفعة في الوساطة

1. تعزيز التعاون والمصالح المشتركة

من المفيد التأكيد على المنافع المشتركة للعمل معًا. يمكن استحضار قصص ملهمة لأشخاص ذوي قيمة ومكانة قدموا تنازلات حظيت باحترام الأطراف الأخرى، مما يُشبع لدى أصحاب الأنا المرتفعة شعورًا بالإنجاز والتقدير.

2. إعادة الصياغة وطرح الأسئلة المفتوحة

إعادة صياغة المواقف من منظور مختلف مع طرح أسئلة مفتوحة تساعد على إعادة التفكير. هذه الطريقة تُحافظ على سيطرة الوسيط على الحوار وتُوجه النقاش بشكل يُسهم في تخفيف حدة الأنا.

3. ضمان السرية

تشجيع أصحاب الأنا المرتفعة على تقديم تنازلات من خلال التأكيد على سرية المفاوضات، مع إمكانية الاتفاق على ضمانات لعدم النشر.

يتميز الوسطاء بصفات مثل التسامح والتواضع واحترام الذات وتقدير الآخرين. دورهم يتطلب إنكار الذات وتمكين أطراف النزاع من الشعور بملكية عملية السلام. هذا الدور المحوري يتطلب صقلًا مستمرًا للشخصية لمحاربة الغرور والتكبر. على الوسطاء تبني مستويات عالية من الصبر والحكمة في التعامل مع أصحاب الأنا المرتفعة. النجاح في تخطي هذه العقبة يُسهم في بناء الثقة وتعزيز التواصل الفعَّال. عندما تُصبح الأنا قابلة للإصلاح، يتحول الحوار إلى عملية تعاونية تُحقق المصالح المشتركة، وتقوي العلاقات بين أفراد المجتمع.

[1] محمد هادية، محام ومحكم ووسيط، محاضر وباحث ومدرب في مجال الوساطة وبناء السلام، مؤسس ورئيس مجلس إدارة مؤسسة ACT لحل النزاعات.